ليس لنهضة الشعب الإيراني المسلم مثيل في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنني عندما أواجه هؤلاء الأشخاص الذين قدموا أغلى ما لديهم في سبيل الله، قدّموا شبابهم وتحمّلوا الآلام. إنني عندما أواجه هذه الصور الإنسانية، لا يسعني أن أقول شيئا سوى الشعور بالحقارة. إن الشعور الدائم العالق في ذهني هو أنني لم أقدم شيئا أمام الشعب الإيراني الذي يضحي الآن بكل ما لديه في سبيل الإسلام، وأمام هؤلاء الآباء المفجوعين بأبنائهم... لم أستطع أن أؤدي الدَّين الذي علي لهؤلاء، سوى أن ألتمس العذر من البارئ تعالى عن التقصير لأننا جميعا عباده تعالى، ومسلمون لإرادته، ونفتدي أحكامه المقدسة بأرواحنا.

والشعب الإيراني نهض اليوم من أجل إحياء الإسلام وإحياء أحكام الإسلام. ولنهضته التي قام بها ليس لها مثيل في تاريخ الإسلام وإيران، هذه النهضة الأصيلة المبدئية. كما أن أبعاد هذه النهضة قد شملت جميع القطاعات، وهي ليست مختصة بفئة دون أخرى. ففي سابق الأيام، إذا ما حصلت نهضة ما.. وثبة ما مثلا، كان العلماء مثلا الأجنحة السياسية في الخارج، إنها كانت من قبل الأجنحة السياسية. الأجنحة الأخرى في الخارج، أو أن أصحاب البازار كانوا يطالبون بشيء ما، وكانت الأجنحة الأخرى لا تتفاعل معهم، أما اليوم فبإذن الله (تبارك وتعالى)، بإرادة الحق تعالى، فقد التحمت إيران بكافة أجنحتها: الأجنحة السياسية.. وأجنحة العلماء.. والبازار.. ومن تلامذة الابتدائية وحتى الجامعيين وطلاب الإعدادية.. تحركوا معا جميعهم ونهضوا، والجميع يطالب بشيء واحد، ويهتفون جميعا بقولهم: إننا نريد الحرية ونريد الاستقلال. إن مقدمة الحرية والاستقلال هي "إزالة" هذه السلالة الخبيثة التي لم تفعل شيئا لإيران والإسلام، منذ مجيئها إلى الحكم وإلى الآن، فضلا عن الأضرار التي تسببت بها، إننا لا نريدها. الجميع معا، الأطفال الصغار الآن تسببت بها، إننا لا نريدها. الآن عندما يخرج هؤلاء الأطفال من مدارسهم الابتدائية أو الإعدادية ويسيرون في الشوارع متجهين إلى بيوتهم، فإن شعارهم هو الموت للملك. وهذه ليست مسألة أن يستطيع بشر أن يجمع الناس هكذا ويجعل جميع الطبقات تتجه وجهة واحدة. إن هذه هي يد الغيب الإلهية التي يجب أن نتطلع إليها. وإنني لأتطلع أن يقلع هذا المجتمع ـ الذي تحرك كالسيل ـ كل ما يقف في طريقه ويقضي عليه.

أي قوة كانت مع قوة الشعب... إن الشعب إذا ما نهض وكانت مطالبه حقة، أي أنه إذا ما عرضت هذه المطالب في أي من المجتمعات الإنسانية، الجميع يعطون الحق لهم، يقولون لهم: ماذا تريدون من الإضراب الذي قمتم به؟ ماذا تريدون من التضحية بشبابكم؟ ماذا تريدون... ويزجون بعلمائكم في السجون وينفونهم؟ ما الذي تفعلونه... ويعتقلون ساستكم ويسجنونهم ويضايقون رجال أسواقكم ويعذبونهم؟ ماذا تريدون من وراء كل هذا الظعن الذي تقومون به؟ يقولون إننا نرفض أن نكون أسرى القوى الكبرى.. نحن نريد أن تكون بلادنا ملكنا نحن.. أن ندير بلادنا بأنفسنا... نحن نريد أن نكون أحرارا.. ليس مثل الحرية التي يعطيها لنا الملك.. إن هذه الحرية جيدة بالنسبة له ولأسرته... هذه هي الحرية!!

إن مثل هذه الحرية التي يمنحها "الملك" مثل هذا "الصلح" الذي تقوم به الحكومة... كله إراقة للدماء!... الحرية كلها سجن! وكلها إهانة!.. إن هؤلاء قد وضعوا يدا بيد وأخذوا يهتفون بصوت واحد: إننا نريد الحرية والاستقلال. نحن لا نريد عندما نذهب إلى الخدمة العسكرية، ونذهب إلى جيشنا يأتي الأمريكان ويديرونه.. ويصنعون جيشا حقيرا.. والمستشارون الإيرانيون يكونون تحت إشراف المستشارين الأمريكان.. والجيش الذي تُصرف عليه أموال إيران، ويكون تحت إشراف وتدريب المستشارين الأميركيين، ويراد له أن يعمل لأميركا. فعندما تنظر إلى نظامه ونجده مثل هذا النظام! وعندما تنظر إلى سيده الملك، هو أيضا قد جاء به الحلفاء ووضعوه هنا. هو الذي قال إن الحلفاء قد ارتأوا أن أكون أنا، كما أن "إقبال" أيضا قد جاء به الإنكليز! كما أعلن ذلك راديو دلهي في ذلك الوقت. لقد أعلن راديو دلهي في الحرب العالمية هذه القضية، وهي أننا أتينا بـ"رضا شاه" ومن ثم خاننا، والآن نأخذه وأخذوه إلى جزيرة موريس وأرسلوه إلى الجحيم.

وعندما ننظر إلى ثقافته، نلاحظ أن ثقافته ثقافة استعمارية، أي صورية، أي أمروه. إنه يقول إنه ألّف كتاب "مهمة في وطني" صحيح يقول إن له "مهمة" في وطنه! وله مهمة من قِبل الأمريكان أيضا! أن يضيّع هذا الوطن وشبابه، أن يجعل هؤلاء متخلفين، أن يبقي البلاد في حالة من التخلف لئلا يحصل فيه نمو، على الأقل يحصل نمو في قطاع الشباب ويقف بوجه أميركا ويقول: ماذا تريد منا أيها السيد.

فعندما نلاحظ ثقافته، نرى منذ كم من الأعوام نملك المدارس! لقد مضى على عمر دار الفنون ما يقارب السبعين عاما تقريباً، ومنذ كم من السنين نحن نملك الجامعات، والآن عندما يريد الملك أو ابن الملك أن يجري عملية لوزتين لا زالوا يأتون بالطبيب من أميركا أو مكان آخر، أو إذا استطاع أحد يذهب إلى الخارج ويجري العملية. إذا كان هناك مريض يذهب إلى الخارج لمعالجة مرضه، إذاً الواضح أننا لم نكن نملك، لم تكن لدينا جامعة. إذا كنا نملك لكان يجب أن نديرها بأنفسنا، يجب أن يكون الطبيب منا. كما وأنهم عندما يريدون أن يبنوا بناية ما، أو يقيموا سدا ما، وحتى تعبيد طريق ما، أو تخطيط شارع ما (يأتون) بالخبراء أيضا. إذا كنا نملك خبراء، إذاً لماذا تأتون من الخارج؟ إذا كنا نملك ولا تأتون بهم فإنكم ترتكبون خيانة أيضا، لأنكم خنتم شعبنا حيث يجب بعد كل هذه السنين، أن نستعين بالخارج ونستورد الخبراء من أميركا أو أوروبا، إذا ما أردنا أن نبني بناية، أو نقيم سدا أو نبني مكانا لشيء ما.

لأي شيء منه شأن أن تنظر، ستجده يسير برجل واحدة. انظر إلى اقتصاده إنه كارثة، فكما يقول الخبراء: إن إيران تحتاج الآن إلى أن تؤمّن غذاءها من الخارج لأحد عشر شهرا، أو أحد عشر شهرا إلا ثلاثة أيام (في السنة). وهذا يعني أن إيران لا تستطيع أن تعتمد على نفسها في مجال الزراعة لأكثر من ثلاثين أو ثلاث وثلاثين يوما، ويزيد عن ذلك يجب تأمينه من الخارج. وتنظرون أنهم يأتون به من الخارج، إلى هنا انتهت "الإصلاحات الأرضية". يا سيدي حيث قد صنعت سوقا لأميركا لكي تبيع لنا فيما الأشياء التي يجب إتلافها! إنهم يأخذون نفطنا هكذا، أو بعد ثلاثين عاما فإنه . وكما يقول الملك . سينفد. ليس أن النفط سينفد، إنهم يعملون على نفاده. إنهم يعملون على استخراج وإرسال نفطنا إلى أميركا بواسطة هذه الأنابيب الضخمة بحجم هذه الغرفة، ولعل بعضها كان كبره وقطره بحجم قامة الإنسان. وفي مقابل ذلك، وبدلا من أن يعطونا ما يجب أن يعطونا، يأتون بالأسلحة التي تحتاجها أميركا

لأنها تريد أن تبني قواعد (عسكرية) في إيران لمواجهة الاتحاد السوفيتي! كما ويجب أن يعطي لإيران شيئا ما، في حال سمح بذلك، حيث ينبغي أن لا يسمح. ولكن الآن قد ارتكب هذه الخيانة وأراد أن يسمح. يجب أن تعطي شيئا ما لنا أيضا من أجل أن تأتي وتبني قواعد. تأخذ منا نفطنا وتبني قواعد لها! إنها تعوضنا! التعويض يعني بناء قواعد للأمريكان أولئك، الأسلحة الكبيرة. وحتى من البلدان الأخرى، فرنسا، يشترون الأشياء التي لا تفيدنا، وتأخذ الأخرى النفط عوضا عنها. إنهم يريدون أن يأخذوا عوضا عنه (النفط) الطائرات التي تبلغ أسعارها 350 مليون دولار و550 مليون دولار.

بأي شخص تفكر في هذا البلد ستجد أن هذا الشخص، الذي هو أسوأ من أبيه، وأبوه كان أسوأ من شمر، قد أخرنا كثيرا وفي كل المجالات، ابتداءً من الدين وحتى السياسة والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. إن هذا كان خائناً، ونحن نرفض هذه الملكية الخائنة. إن الملكية كانت خائنة بالأساس ومنذ البداية، وأخيارهم كانوا سيئين أيضا. وأولئك الذين تدعون لهم أنتم أو الناس بواسطة الإعلام، كانوا خبثاء أيضا. وهؤلاء هم أسوأ من أولئك.

إن ما ندعو إليه هو حكومة حريصة على الشعب. نحن نريد نظاما عادلا. وإذا درسنا جميع الأنظمة فلا نجد نظاما عادلا سوى النظام الإسلامي. الكل يعملون لأنفسهم، سوى أن هناك فئة هي الأهون، وهناك فئة أكثر تشددا. إن بلدنا هو من ذلك النوع الذي يريد تخريب البلاد بالتشدد والتسرع! واعلموا أنه لو بقي هذا الشخص . لا سمح الله . ولو بقي هذا النظام المنحوس والمنحط، وفي حال بقي هذا الجهاز الذي سادنا، فإن المستقبل لا يحمل لجيل المستقبل غير الفقر والحرمان. لأنهم يعطون نفطه وينهبونه، وكذلك يعطون الآن الغاز إلى الاتحاد السوفيتي وينهبونه، والمراتع والغابات والزراعة، كل هذه الأشياء أعطَوها لهذا وذاك أتلفوها، ونحن الآن لا نملك زراعة تستجيب لاحتياجات الناس، وبعد ثلاثين عاما سوف لا يكون لهذا البلد أي من مصادر الثروة، لو بقي هذا النظام في السلطة ولسوف تتلف كل مصادر ثرواتكم .

إن نداءنا، نداء العلماء ونداء الساسة ونداء أولئك الحريصين على البلاد، هو أن دعوا هذا البلد يبقى للجيل القادم، ليمكنهم العيش فيه. فبعد قرن آخر، أي بعد ثلاثين سنة أخرى سوف لا يمكن العيش في هذا البلد، من حيث أن كل شيء فيه يخربونه ويجعلونه هباءً.

إنه قال إنني لو اضطرت يوما . قال الملك في إحدى خطبه ولقاءاته . أن ارحل، فسأترك البلد تلاً من التراب. إنك موجود وحولته إلى تل من التراب وأسوأ، ألَم تبقِ لنا شيئا. لم يبقِ لنا هذا الملك شيئا. وأميركا يجب أن تساعده وتدعمه، لأنها أين يمكن أن تجد مثل هذا العميل الذي قدّم لها كل البلد! وهو يبني القواعد لها إزاء ذلك، ويدخل في جيبها عِوَضها ومعوّضها، النفط لها وثمن النفط لها. وبالطبع يجب أن تقول: إن الملك منح الحريات وهو يبني بلدا متقدما! فبحسب منطق السيد "كارتر" أن الحرية هي عبارة عن هذه الأشياء التي أصبحت من نصيبنا وانهارت جميع أبعادها. أجل، إنها شيء جميل جدا بالنسبة لكم، لقمة سائغة. للأجانب الآن نفط الشرق وإيران والحجاز بالخصوص لقمة سائغة لهؤلاء. بالطبع، يجب أن يعلن دعمه. والاتحاد السوفيتي أيضا يجب أن يعلن دعمه لأنه يأخذ الغاز. إن لهؤلاء مصالح. وفي حين علا صوت الشعب، يقول هؤلاء: إننا نريد تسيير مصالحنا بشكل معقول

وصحيح، ونباع بشكل صحيح. إننا لا نريد أن نضع النفط في جيوبنا أو نشربه، إننا نريد أن نبيعه! نعطيه لأي بلد يشتريه بأفضل، نعطيه له ونأخذ نقدا، عملة، لا أن نتسلم حديداً ولا طائرات لا نستفيد منها، نأخذه (النقد) لنصرفه على هذا الشعب المحروم من الماء أيها السيد! لا تنظروا إلى طهران وأعالي طهران فقط، دوروا في ضواحي طهران قليلا والقوا نظرة على سَكَنة الخيام والكهوف لترَوا كيف يعيشون! هذه طهران التي هي العاصمة وتعد أقرب إلى "بوابة الحضارة!" اذهبوا في يوم ما ودوروا فيها، أعطوا قليلا من وقتكم ودوروا في ضواحي طهران. انظروا في كم مكان في طهران قد يُنبت أزقة، بناها هؤلاء جيدا، لقد تعاونوا فيما بينهم وبنَوا بيتا من الطين لأسرة ما.

لماذا تجمع هؤلاء هنا؟ لأجل "الإصلاحات الأرضية" لقد أجرَوا الإصلاحات الأرضية، والناس لا يستطيعون البقاء في أريافهم. ارتبكت أحوالهم، لم يستطيعوا البقاء هناك، فتقاطروا على المدن، وقد جاء الأكثرية منهم إلى طهران، والآن جاء هؤلاء المساكين إلى طهران، ويعيشون في أوضاع صعبة للغاية. كما وانهم ليسوا شبابا جميعهم لكي ينصرفوا إلى الأعمال الشاقة، كالحمالة أو العثور على عربة ما وبيع شيء ما عليها، فالكثير منهم كبار السن ومساكين وضعفاء، وهؤلاء الآن يعيشون في الكهوف، لقد وصلني أن ما يقارب الثلاثين زقاقا، لقد كتبوا لي: في طهران يعيش فيها من هؤلاء المساكين في ضواحي "حضرة عبد العظيم" وعدد منهم قد نزحوا من هناك وجاؤوا إلى هنا بسبب الإصلاحات الأرضية، ويحيَون حياة يرثى لها، وليس لديهم لا ماء ولا كهرباء.. وهذه الأشياء من التي يفترض أن تكون لديهم. وكهرباء طهران أيضا وفي موارد أخرى أيضا لا يمتلكون الكهرباء. في كل يوم هناك أماكن عديدة مظلمة، ليس لديهم كهرباء، حياة، لا يملكون أي شيء، والبعض منهم يعيش في مستنقعات آسنة جدا، حيث يجب عليه أن يأتي بالماء، كوز من الماء، من الأعالي هذه هي الحياة التي صنعوها لهؤلاء.

ففي قرية أبعد قليلا، إنني على اتصال بأهل تلك القرية يأتون ليأخذوا إذناً مني، يجب أن ندفع مقدارا من النقود، يضعوا مقدارا من نقودهم، يقول إن الفاصلة من المنطقة التي في مخزن الماء إلى المنطقة التي فيها القرية التي يتواجد فيها هؤلاء المساكين فرسخا من الطريق، ويجب أن يقطعوا مسافة فرسخ من الطريق من أجل المجيء بماء الشرب، وعند ذلك يأخذون نقودا ويصنعون مخزنا للماء من أجل أن يمتلئ عند هطول الأمطار ويستفيدوا منه عندما لا يكون هناك مطر. انظروا إلى هذه السيارات التي يستقلها أربعة أشخاص في طهران ماذا تصنع، كلا، البعض منهم الذين هم من هؤلاء، البعض منهم.. حسنا، حسنا جدا، ألقوا نظرة أيضا على سائر المدن والأرياف الإيرانية، وتلك الأماكن في طهران، في هذه الكهوف، لترَوا ماذا يجري على هذا الشعب! النفط الذي يجب أن يديره الشعب، لو كنا نملك سلطة أمينة تستخرجه وتبيعه بشكل أمين وتصرفه على هذا الشعب، لما كان يجب أن يكون الشعب هكذا (وضعه). إن ما ننادي به هو طيب، لماذا يجب أن يكون هكذا بحيث هكذا تعيش جماعة مسكينة، تصرف جماعة خمسة ملايين دولار على "فيلّة"!! لقد كتبوا لي أن واحدة من شقيقات الملك، قد صرفت على تزيين "فيلّتها" بالزهور خمسة ملايين دولار. من أين أتَوا بذلك؟ لقد جاء رضا شاه إلى الحكم، بواسطة الانقلاب بأيد خالية، اغتصب أموال الناس بالقوة ومن ثم رد قسماً منها فيما بعد.

من أين أتى بذلك هؤلاء؟ من أين أتت مؤسسة بهلوي هذه؟ ومن أين تُدار؟ من هؤلاء.. من مال الشعب. هكذا يجب أن يأخذوا من هذا الشعب نفطه وأشياء أخرى ويعيش هو بهذا الشكل، وفئة أخرى تعيش هكذا، وهكذا

ينهبون الشعب. إن ما ننادي به هو أنه يجب أن لا يكون مثل هذا النهب، يجب تغيير هذا النظام كليا. إننا سنتحدث إلى آخر نفس وعندما تنقطع أنفاسنا، حسنا سنكون معذورين، عند ذاك، عند البارئ (تبارك وتعالى).(

إنه واجبكم أنتم أيضا أيها السادة، إنها مصالح شعب.. شعب بكامله.. مصالح الإسلام. إنه واجبكم أنتم أيضا، أن تعملوا ما بوسعكم في التبليغ ضد هؤلاء، أي أن تشرحوا حقائق المسائل في إيران بوقائعها. اشرحوا ما يجري الآن على شعبكم وما يجري في الجامعات والكليات، وحتى ما يجري في المدارس الابتدائية. لقد قتلوا البنات الصغيرات. لقد وصل الدور إلى هذه البنات الصغيرات ذوات السبع أو الثماني سنوات!.. اشرحوا ما يجري في سجون إيران، ما يجري في إيران التي هي سجن بحدّ ذاتها. إن الواجب يحتّم على كل واحد منكم أن يشرح ما يجري للذين يعرفهم، أنتم تدرسون في المدارس الموجودة هنا، وتعيشون في هذه الأوساط. فلو شرح كل واحد منكم قضايا إيران لعشرة أو عشرين شخصا لسوف تخلقون موجا (جوا)، هذه خدمة. إن أولئك يضحون بأنفسهم ويخدمونكم، وأنتم أيضا يجب أن تبلّغوا، تتحدثوا هنا. بإمكانكم أن تنشروا كلامكم في صحافتهم. وبإمكانكم أن تجروا لقاءات صحفية... اجروا لقاءات صحفية... قولوا ما لديكم من كلام... إنكم لستم ممنوعون من إجراء اللقاءات الصحفية مثلي، تحدثوا بما لديكم.

أسأل الله (تبارك وتعالى) أن يحفظكم جميعا. وآمل ـ إن شاء الله ـ أن يجرف هذا السيل البشري الإيراني، الذي يتجه وجهة واحدة، وباعتقادي أن يد البارئ وراءه (الشعب) لأن هذا العمل ليس بوسع البشر. آمل أن يجرف هذا السيل العارم، كل هذه الفضلات والأعلاف الزائدة ويرمي بها جانبا، ويكون بلدكم لكم وتديرونه بأنفسكم (الحضور: إن شاء الله) وفقكم الله، مؤيَدون. التمسكم العذر من أن صحتي لا تسمح لي بالجلوس هنا والتحدث معكم. في أمان الله.

هوية الخطاب رقم 38

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: 17 ذي القعدة 1398هـ الموافق 20 أكتوبر 1978م.

الموضوع: ليس لنهضة الشعب الإيراني المسلم مثيل في التاريخ.

المناسبة: إشادة بأُسر لشهداء النهضة الإسلامية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس .